قتلة الإمام الحسين(ع) شيعة آل أبي سفيان

<"xml encoding="UTF-8?>

السؤال:

يتردّد من البعض : إنّ الذين قتلوا الحسين (عليه السلام) هم شيعة ، فهل هم شيعة كما يقال ؟ أم أنّهم غير ذلك ؟ وهل كانوا من أتباع أهل البيت ثمّ انحرفوا أم ماذا ؟

الجواب:

في الواقع هذه شبهة روّج إليها البعض ، ممّن في قلبه مرض ، طعناً منه بالمذهب الشيعي ، من أنّ الشيعة هم الذين قتلوا الإمام الحسين (عليه السلام) ! والواقع خلاف ذلك ، فإنّ الذين قتلوه (عليه السلام) هم شيعة آل أبي سفيان ، بدليل خطاب الإمام الحسين (عليه السلام) إليهم يوم عاشوراء : « ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان ، إن لم يكن لكم دين ، وكنتم لا تخافون يوم المعاد ، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه ، وارجعوا إلى احسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون » (١) .

ثمّ لم نجد أحداً من علماء الرجال أدرج أسماء هؤلاء الذين قتلوه (عليه السلام) ـ كأمثال عمر بن سعد ، وشبث بن ربعي ، وحصين بن نمير ، و ... ـ ضمن قوائم رجال الشيعة ، بل النصوص تدلّ على أنّهم من جمهور المسلمين .

وأمّا كونهم محكومين بأنّهم كانوا تحت إمرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لا يدلّ على أنّهم شيعة علي (عليه السلام) ، كما أنّه ليس كلّ من صلّى خلف علي أو قاتل في جيش علي هو شيعي بالضرورة ، لأنّ الإمام علي (عليه السلام) يعتبر الخليفة الرابع للمسلمين ، فالكلّ يقبله بهذا الاعتبار ، لا باعتبار أنّه معصوم ، وأنّه الخليفة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) مباشرة .

وأمّا أنّهم كانوا ممّن أرسلوا إلى الإمام الحسين (عليه السلام) برسائل تدعوه للمجيء إلى الكوفة ، لا يدلّ أيضاً على أنّهم شيعته (عليه السلام) ، لأنّهم كانوا يتعاملون مع الإمام الحسين (عليه السلام) باعتباره صحابي ،

وسبط الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وله أهلّية الخلافة والقيادة ، لا باعتبار أنّه إمام من الأئمّة الإثني عشر ، وأنّه معصوم ، وأنّه أحقّ بالخلافة من غيره .

مضافاً إلى هذا ، فإنّ مواقفهم من الإمام الحسين (عليه السلام) ومن معه يوم عاشوراء تدلّ على أنّهم ليسوا بشيعة له ، من قبيل منعهم الماء عليه ، فيخاطبهم برير الهمداني بقوله : وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السواد وكلابه ، وقد حيل بينه وبين ابنه ، فقالوا : يا برير ، قد أكثرت الكلام فاكفف ، فوالله ليعطش الحسين كما عطش من كان قبله (٢) ، يقصد عثمان بن عفّان ، فهل هذا جواب شيعي ؟!

ثمّ إنّ الشيعة في الكوفة يمثّلون سبع سكّانها ، وهم ١٥ ألف شخص ، كما نقل التاريخ ، فحوالي ١٢ ألف زجّوا في السجون ، وقسم منهم اعدموا ، وقسم منهم سفّروا إلى الموصل وخراسان ، وقسم منهم شرّدوا ، وقسم منهم حيل بينهم وبين الإمام الحسين (عليه السلام) ، مثل بني غاضرة ، وقسم ضئيل منهم استطاعوا أن يصلوا إليه (عليه السلام) .

إذاً شيعة الكوفة لم تقتل الإمام الحسين (عليه السلام) ، وإنّما أهل الكوفة ـ من غير الشيعة ـ قتلوه (عليه السلام) بمختلف قوميّاتهم ومذاهبهم .

نعم ، هذا صحيح أنّ اكثر الشيعة في الكوفة ، لكن لا أكثر الكوفة شيعية ، والدليل على أنّ الشيعة كانوا أقلّية في الكوفة ، هو عدّة قضايا :

منها : ما ذكرته بعض المصادر : من أنّ علياً لما تولّى الخلافة أراد أن يغيّر صلاة التراويح ، فضجّ الناس بوجهه في المسجد ، وقالوا : وا سنّة عمراه (٣) .

ومنها : ما في الفقه الإسلامي ، إذا قيل هذا رأي كوفي ، فهو رأي حنفي لا رأي جعفري .

وللمزيد من الفائدة نذكر لكم نصّ كلام السيّد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة : « حاش لله أن يكون الذين قتلوه هم شيعته ، بل الذين قتلوه بعضهم أهل طمع لا يرجع إلى دين ، وبعضهم أجلاف أشرار ، وبعضهم اتبعوا رؤساءهم الذين قادهم حبّ الدنيا إلى قتاله ، ولم يكن فيهم من شيعته ومحبيه أحد .

أمّا شيعته المخلصون فكانوا له أنصاراً ، وما برحوا حتّى قتلوا دونه ، ونصروه بكلّ ما في جهدهم إلى آخر ساعة من حياتهم ، وكثير منهم لم يتمكّن من نصره ، أو لم يكن عالماً بأنّ الأمر سينتهي إلى ما انتهى إليه ، وبعضهم خاطر بنفسه وخرق الحصار الذي ضربه ابن زياد على الكوفة ، وجاء لنصره حتّى قتل معه ، أمّا أنّ أحداً من شيعته ومحبّيه قاتله فذلك لم يكن ، وهل يعتقد أحد أنّ شيعته الخلّص كانت لهم كثرة مفرطة ؟ كلاّ ، فما زال أتباع الحقّ في كلّ زمان أقلّ قليل ، ويعلم ذلك بالعيان ، وبقوله تعالى : (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (٤) (٥) .

ويمكن أن يقال : إنّ الشيعة من أهل الكوفة على قسمين :

١ـ شيعة بالمعنى الأخصّ ، يعني يعتقدون بالتولّي والتبرّي ، وهؤلاء لم يكونوا في جيش عمر بن سعد ، الذي حارب الإمام الحسين (عليه السلام) ، بل إمّا استشهدوا معه (عليه السلام) ، أو كانوا في السجون ، أو وصلوا

إلى كربلاء بعد شهادته (عليه السلام) .

٢ـ شيعة بالمعنى الأعمّ ، يعني يحبّون أهل البيت (عليهم السلام) ، ويعتقدون بالتولّي دون التبرّي ، ولا يرون أنّ الإمامة منصب إلهيّ وبالنصّ ، وهؤلاء كان منهم من بايع الإمام الحسين (عليه السلام) في أوّل الأمر ، ثمّ صار إلى جيش عمر بن سعد .

وكلّ ما ورد من روايات ونصوص تاريخية فيها توبيخ لأهل الكوفة ، فإنّما تحمل على الشيعة بالمعنى الأعمّ ، أي الذين كانوا يتشيّعون بلا رفض ، وبلا اعتقاد بالإمامة الإلهية ، وما إلى ذلك من أُصول التشيع .

---

(١) لواعج الأشجان : ١٨٥ ، تاريخ الأُمم والملوك ٤ / ٣٤٤ ، البداية والنهاية ٨ / ٢٠٣ ، مقتل الحسين لابن مخنف : ١٩٠ ، اللهوف : ٧١ ، كشف الغمّة ٢ / ٢٦٢ .

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق : ٢٢٢ ، روضة الواعظين : ١٨٥ ، لواعج الأشجان : ١١١ .

(٣) جواهر الكلام ١٣ / ١٤٠ و ٢١ / ٣٣٧ ، الصحيح من السيرة ٢ / ١٤٩ .

(٤) سبأ : ١٣ .

(٥) أعيان الشيعة ١ / ٥٨٥ .